النظرية التحويلية واللغة العربية

للدكتور محمد علي الخولي

خـــلاصة :

يهدف هذا البحث الى التعريف بالنظرية اللغوية التحويلية وضرب أمثلة لتطبيقها على اللغة العربية .

والنظرية التحويلية ترتكز على مفهوم رئيسي هو أن لكل جملة في اللغة تركيباً باطنياً وتركيباً ظاهرياً وأن هناك قوانين تنظم العلاقات بين التراكيب الباطنية والتراكيب الظاهرية للغة وتسمى هذه القوانين قوانين تحويلية .

ووفقاً للنظرية التحويلية . هناك أربعة مستويات للقوانين . المستوى الأول يتعلق بالتراكيب الأساسية للغة وهي التراكيب التي تقرر المعنى الأساسي للجمل ، والقوانين التي تحدد التراكيب الاساسية في هذا المستوى (قوانين أساسية) . والمستوى الثاني يتعلق بالمفردات اللغوية التي يمكنها أن تحل محل عناصر التركيب الاساسي . وفي هذا المستوى يتم تحليل المفردات ووصفها واعطاؤها خصائصها المهمة كالتذكير والتأنيث وسواهما . والقوانين المستعملة في هذا المستوى تسمى (قوانين مفردية) . والمستوى الثالث يتعلق بطرق تحويل التراكيب الأساسية أو الباطنية الى تراكيب ظاهرية . والقوانين التي تنظم طرق التحويل تسمى (قوانين تحويلية) . والمستوى الرابع يتعلق باعطاء التراكيب الظاهرية شكلها النهائي الصوتي أو الكتابي عن طريق قوانين تسمى (قوانين مورفيمية صوتية) .

ومن مزايا النظرية التحويلية وقواعدها أنها تتبع منهجاً ثابتاً في الوصف والتحليل . كما أنها تنظر الى اللغة نظرة أقرب الى طبيعة اللغة حيث أن هذه النظرية تربط جمل اللغة الواحدة بسواها كما أننا بهذه النظرية نستطيع أن نقارب بين اللغات بطريقة فعالة من حيث المستوى الباطني والمستوى الظاهري . يضاف الى ذلك أن هذه النظرية تضع لنفسها معايير للتقويم الذاتي للحكم على كفاية قواعد معينة . والمفاضلة بينها وبين سواها من القواعد في اللغة الواحدة . وعلى رغم هذه المزايا لا يمكن القول بأن القواعد التحويلية تستطيع أن تحل محل القواعد التقليدية لأن كلا منهما تكمل الأخرى ولأن لكل منهما مزاياها الخاصة .

والقواعد التحويلية للغة العربية يمكن ادخالها على نطاق واسع للطلاب المختصين باللغة العربية في المرحلة الجامعية من زواياها النظرية والتطبيقية . كما أنه من الممكن تنوير هؤلاء المختصين بالوسائل والأساليب التي يستطيعون اتباعها للاستفادة من القواعد التحويلية في المراحل المتقدمة في التعليم العام . ومن الممكن أيضاً الاستفادة من القواعد التحويلية في المرحلة الثانوية بشرط أن يتم ذلك على جرعات مناسبة كماً ونوعاً .

مقـــدمة :

يهدف هذا البحث الى تعريف القارىء بنظرية حديثة في اللغة هي « النظرية التحويلية » وذلك من حيث قوانينها ومعايير تقويمها ومزاياها . وفي هذا التعريف يقدم البحث بعض الأمثلة المبسطة لتطبيقات هذه النظرية على اللغة العربية . كما يقدم أمثلة لكيفية استخدام القواعد التحويلية في بعض الأغراض التعليمية الأخرى .

عريف بالنظرية التحويلية :

في كتب علم اللغة جدل طويل حول تعريف النظرية اللغوية التحويلية . غير أننا ، من أجل التبسيط والاختصار ، نستطيع أن نتبنى وجهة النظر القائلة بأن أية قواعد تعطى كل جملة صحيحة في اللغة — أية لغة — « تركيباً باطنياً » « وتركيباً ظاهرياً » وتربط بين التركيبين بنظام خاص هي (قواعد تحويلية) . هذا يتضمن أن أية نظرية وراء مثل هذه القواعد هي (نظرية تحويلية) .

والمقصود بالتركيب الباطني للجملة (deep structure) هو ذلك التركيب الذي اشتقت منه الجملة أساساً . أما التركيب الظاهري (surface structure) فالمقصود به ذلك التركيب الذي تبدو عليه الجملة بصورتها الحالية . وأما العلاقة بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري فتسمى تحويلاً لأنها (transformation) تحول التركيب الباطني لجملة ما الى تركيب ظاهري جديد . وينظم هذه العلاقة ما يعرف بالقانون التحويلي (transformational rule) .

ويمكن تشبيه العلاقة بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري بالعلاقة بين مدخول التفاعل الكيماوي ومنتوجه . فالتركيب الباطني في اللغة يشبه مدخول التفاعل الكيمياوي (input) أي أنه يشبه المواد الداخلة في التفاعل الكيماوي . والتركيب الظاهري في اللغة يشبه منتوج التفاعل الكيماوي (output) أي أنه يشبه المواد الناتجة عن التفاعل الكيماوي . كذلك يمكن تشبيه القانون التحويلي الذي ينظم العلاقة بين هذين التركيبين اللغويين بالمعادلة التي تعبر عن هذا التفاعل فهي تعبر عن المواد الداخلة فيه والمواد الناتجة منه وشروط التفاعل بينها ان كان له شروط . ويمكن اختصار التعبير عن هذه العلاقة على النحو التالي :

قانون تحويلي

تركيب باطني ←——— تركيب ظاهري .

لمحة تاريخيـــة :

كان أول من كتب عن النظرية التحويلية اللغوي الامريكي نوم شومسكي (Noam Chomsky) عام ١٩٥٧م حين وضع أسسها وطبقها على اللغة الانجليزية . ووجهت الى نظريته انتقادات عديدة شأنها في ذلك شأن معظم المستحدث من النظريات . ولكنها لاقت أيضاً قبولاً لدى العديد من اللغويين . وقد اخذ هؤلاء المتقبلون للنظرية التحويلية الشومسكية يطبقونها على اللغة الانجليزية كل بطريقته الخاصة . ومن أمثال هؤلاء العلماء الامريكيين امون باخ (Emmon Bach) ، ه . ا . كليسون (H.A. Gleason) ، ا . ا . جيكوبس (R.A. Jacobs) ، اوين توماس (Owen Thomas) ، بول روبرتس (Paul Roberts) ، شارلز ج فلمور (Charles J. Fillmore) .

ولقد أتفق هؤلاء اللغويون الذين تقبلوا النظرية التحويلية على الاعتراف بأنها تمتاز على النظرية اللغوية التقليدية . غير أنهم اختلفوا في كيفية تطبيقها على لغتهم الانجليزية ويرجع السبب الرئيسي في ذلك إلى اختلافهم فيما يعتبر باطنياً وما يعتبر سطحياً أو ظاهرياً من هذه التراكيب . وبعبارة أخرى : أي هذه التراكيب اللغوية أصيل وأيها مشتق ؟ .

أما عن تطبيق النظرية التحويلية على اللغات الأخرى وبالأخص اللغة العربية فقد كان موضع محاول بعض الباحثين . ومن بينهم الكاتب . وسنكتفي بضرب بعض الأمثلة التي تعطي فكرة مبدئية عن تطبيق هذه النظرية على اللغة العربية لأن المجال هنا لا يتسع لتقديم توضيح شامل لهذا التطبيق . ولعله من المفيد ان تسبق ذلك كلمة عن القوانين التي تتضمنها القواعد التحويلية من حيث انماطها وتتابعها .

أنماط القوانـــين :

تتضمن القواعد التحويلية (transformatonal grammar) أربعة أنماط من القوانين نعرضها بايجاز أولاً ثم نتبع ذلك مزيداً من التوضيح لكل نمط منها . وهذه الأنماط هي :

١ – القوانين الاساسية (base rules) : وهي قوانين تجريدية ذات صبغة شمولية .

٢ – القوانين المفردية (lexical rules) : وهي القوانين التي تصف مفردات اللغة من حيث معناها وخصائصها النحوية التي تؤثر في تطبيق القوانين الأساسية وغيرها .

٣ – القوانين التحويلية (transformational rules) : وهي القوانين التي يتم بها تحويل التراكيب الباطنية الى تراكيب ظاهرية .

٤ – القوانين المورفيمية الصوتية (morphophomemic rules) (١) : وهي القوانين التي تضع الكلمات الواردة في التراكيب الظاهري في صيغتها النهائية صوتية كانت أو كتابية .

تتابع القوانـــين :

من الجدير بالذكر أنه لتوليد جملة ما يتم تطبيق الأنماط الاربعة السالفة للقوانين بصورة تسلسلية متدرجة . اذ يتم أولاً تطبيق القوانين الأساسية لاختيار التركيب الباطني المراد استعماله . ويتم ثانياً تطبيق القوانين المفردية أي اختيار الكلمات القادرة على أن تحل محل عناصر التركيب الباطني العامة . ويتم ثالثاً تطبيق القوانين التحويلية لتحويل التركيب الباطني الى آخر ظاهري . ويتم اخيراً تطبيق القوانين المورفيمية التي تعطى كلمات الجملة شكلها النهائي .

ولتوضيح هذا التدرج نورد المثال التالي :

١ – لنفترض اننا اخترنا ، بعد تطبيق القوانين الاساسية . ان يحتوي التركيب الباطني لجملة ما على عناصر محددة هي فعل وفاعل وأداة (اي الاداة التي تم بها الفعل) .

٢ – وعلى ضوء ذلك . وبعد تطبيق القوانين المفردية ، اخترنا ان تكون الجملة : كتبت – البنت – بالقلم .

٣ – وبتطبيق احد القوانين التحويلية ، اخترنا ان نحول الجملة الى : بالقلم + كتبت + البنت

(٤) وأخيراً يأتي دور القوانين المورفيمية لتنظم العلاقة القائمة بين كلمات الجملة الواحدة من حيث تأثيراتها الصوتية المتبادلة . فعلى سبيل المثال نجد في الجملة السابقة ان (كتبت) تنتهي بصوت ساكن

---

(١) المورفيم هو أصغر وحدة لغوية ذات معنى . مثلا كلمة (الوالدان) تتكون من ثلاث مورفيمات هي ال التعريف + والد + ان الدالة على التثنية .

هو صوت التاء وأن (البنت) تبدأ بصوت ساكن هو صوت اللام فيكون القانون المورفيمي الصوتي المناسب هنا على النحو التالي .

صوت ساكن في نهاية كلمة + صوت ساكن في بداية كلمة تالية ←— صوت حرف مكسور في نهاية الكلمة + صوت حرف ساكن في بداية الكلمة . وينطبق هذا القانون بطبيعة الحال على ملايين الحالات المشابهة .

ونتناول فيما يلي كل نمط من القوانين بشيء من الايضاح :

القوانين الأساسيـــة :-

اختلف علماء اللغة في طبيعة القوانين الأساسية وعددها عندما كانوا يتناولون بالبحث لغة واحدة مثل اللغة الانجليزية . وفي الواقع . لا بد من وجود معيار يتخذ اساساً للمفاضلة بين فرضية وأخرى . والمعيار هنا هو اقتراب القوانين الأساسية الى صفة العالمية (universality) التي تعني انطباق القوانين على اللغات عامة دون اقتصارها على لغة واحدة . فكلما اقتربت القوانين الأساسية في صفة العالمية . ازداد اقترابها من العلم لان العالمية هي أول خصائص العلم .

ولقد استطاع اللغوي الأمريكي شارلز فلمور (Charles Fillmore) أن يضع قوانين أساسية تتمتع بقدر عال من العالمية . اذ جعلها تحتوي على فعل وفاعل قام بالفعل وأداة تم بها الفعل . وشخص وقع عليه الفعل . وكلمات للاستفهام . وأخرى للنفي . وحروف للجر ولا شك أن هذه العناصر تصلح ان تكون عناصر عالمية لأنها تتوفر في معظم اللغات .

ومن الممكن دعم فكرة عالمية القوانين الأساسية بالبراهين التالية :

(١) طبيعة اللغة : ان اللغة . أية لغة . هي تعبير عن معان وأفكار وعواطف . هذه المعاني والأفكار والعواطف مشتركة بين بني الانسان على اختلاف لغاتهم . وهذا يعني أنه من الممكن البحث عن عناصر مشتركة بين لغات العالم . وهذه العناصر المشتركة هي ما يسعى بعض العلماء الى صياغتها في قوانين أساسية عالمية .

(٢) الترجمة : من المعروف انه من الممكن ترجمة أية لغة أخرى . وهذا بالطبع يدل على أن هناك وجوه تشابه بين اللغات . وهذه الوجوه هي ما يحاول العلماء البحث عنها والاهتداء اليها ووضع الفرضيات المختلفة لها .

نموذج من القوانين الأساسية :-

ومن بين الفرضيات العديدة . نجد أن فرضية فلمور بعد تعديلها تصبح من أنسب الفرضيات التي تلائم اللغة العربية . وهذه الفرضية تشمل خمسة قوانين هي :

(١) الجملة ←——— (مؤثرات) + فعل مساعد + جوهر

(٢) المؤثرات ← { الروابط الخارجية، ظروف الزمان، أدوات الأستفهام، أدوات النفي }

(٣) الجوهر ← فعل + (محور) + (مفعول مباشر) + (مفعول غير مباشر) + (مكان) + (اداة) + (فاعل) .

(٤) { محور، مفعول مباشر، مفعول غير مباشر، مكان، اداة، فاعل } ← عبارة اسمية

(٥) العبارات الاسمية ← حرف جر + (معرّف) + اسم + (جملة) .

ولتوضيح هذه القوانين الخمسة ، لا بد من ذكر الملاحظات الآتية :

١ — كل قانون منها له مدخول في الطرف الأيمن ومنتوج في الطرف الأيسر .

٢ — كل مدخول (في الطرف الأيمن) في أي من القوانين هو منتوج أو جزء من منتوج قانون سابق باستثناء مدخول القانون الأول حيث أنه لم يسبق بقانون آخر .

٣ — القوسان ( ) يدلان على امكانية اختيار العنصر الموجود داخلهما . كما هي الحال في القانون الخامس .

٤ — القوسان { } تدلان على أن القانون ينطبق على كل عنصر داخل القوسين على حدة . كما هي الحال في القانون الثاني والقانون الرابع .

٥ — في القانون الأول ، يقصد بـ (المؤثرات) أدوات النفي والاستفهام وسواها مما هو مفسر في القانون الثاني . أما (الفعل المساعد) فهو عنصر زمان حدوث الفعل (الماضي ، الحاضر ، المستقبل ، الامر) ويجري التعبير عنه أحياناً بـ (كان) ، يكون ، سوف) أو بواسطة الاندماج بالفعل ذاته مثل (كتب ، يكتب ، اكتب) . اما (الجوهر) فهو الفعل وتوابعه من فاعل ومفعول وسواهما مما هو مبين في القانون الثالث .

٦ — في القانون الثاني ، يقصد بـ (الروابط الخارجية) الكلمات أو التعبيرات التي ليست في صلب تركيب الجملة من الناحية النحوية مثل : لذلك ، وهكذا ، ونتيجة لذلك وسواها من الكلمات او العبارات التي تربط الجملة بما سبقها من الناحية المنطقية .

وتشمل المؤثرات هذه الروابط وأدوات النفي والاستفهام وظروف الزمان . وهذه العناصر اختيارية أي أن وجودها في الجملة ليس واجباً . وهذه الاختيارية بينها القوسان ( ) الموضوعان حول كلمة (المؤثرات) في القانون الاول .

- في القانون الثالث ، يشمل الجوهر الفعل وتوابعه المذكورة . والفعل واجب الوجود في كل تركيب باطني ولهذا لم يوضع داخل الاقواس الدالة على الاختيار . اما (المحور) فهو كل ما ليس مكاناً ولا أداة ولا فاعلاً ولا مفعولاً مثل كلمة (الكتاب) في الجملة « الكتاب على المنضدة » . فالكتاب هنا ليس واحداً من العناصر التي ذكرناها بل هو محور للحديث . ويقصد بـ (الفاعل) في القانون الثالث الفاعل الحقيقي للفعل ولهذا وضع بين قوسي الاختيار لأنه ربما يكون موجوداً في الجملة وربما لا يكون مثل (فتح المفتاح الخزانة) . فالمفتاح هنا ليس هو الفاعل الحقيقي بل هو الاداة .

ولتوضيح بقية العناصر في القانون الثالث ، نعطي المثال الشامل الثالي : « أعطاني سمير الكتاب بيده في البيت » . (الياء في (أعطاني) هي المفعول به غير المباشر . (الكتاب) هو المفعول به المباشر . (سمير) هو الفاعل الحقيقي . (بيده) هي الاداة التي استخدمت لاتمام الفعل . (في البيت) تبين المكان الذي حدث فيه الفعل .

- في القانون الرابع ، نجد أن كلا من المحور والمفعول به المباشر . والمفعول به غير المباشر ، والمكان ، والاداة . والفاعل هو في الواقع عبارة اسمية وليس اسماً فقط . ويتضح سبب ذلك في القانون الخامس .
- في القانون الخامس تحتوي العبارة الاسمية اجبارياً على حرف جر وعلى اسم وتحتوي اختيارياً على معرّف (بكسر الراء) وعلى جملة . ولذلك . وضع كل من المعرف والجملة داخل قوسين يدلان على الاختيار .

وقد يتساءل المرء عن مغزى كون حرف الجر حتمي الوجود في التركيب الباطني او التركيب ساسي . وللاجابة المبدئية عن ذلك السؤال نذكر ما يلي :

) كثيراً ما يظهر حرف الجر قبل (الاداة) فنقول : كتب بالقلم وقطع بالسيف وفتح بالمفتاح.

) كثيراً ما يظهر حرف الجر قبل (المكان) فنقول : كتب على المنضدة والتقينا في الطريق .

، أحياناً يظهر حرف الجر قبل ما كان (مفعولا به مباشراً) مثل : كانت مراجعته للدرس مفيدة . (الدرس) هنا كانت مفعولا به مباشراً في الجملة (راجع الدرس) .

) أحياناً يظهر حرف الجر قبل ما كان (مفعولا به غير مباشر) مثل : اعطاؤك المال للمحتاج صدقة . (المحتاج) هنا كانت مفعولا به غير مباشر في الجملة (أعطى أخي المحتاج المال) .

) أحياناً يظهر حرف الجر قبل ما كان (فاعلا حقيقياً) ، مثل (عوقب الولد من المعلم) . (المعلم) هنا كانت فاعلا حقيقياً في الجملة (عاقب المعلم الولد) .

كل هذا يدل على ان حرف الجر يلازم الاسم في التركيب الباطني ، ثم تأتي القوانين التحويلية لحذفه أحياناً وتبقيه أحياناً .

أما (المعرّف) الذي يسبق الاسم ، كما يدل القانون الخامس ، فان وجوده اختياري وهو يشمل (ال)

التعريف أو أية اضافات تجعل الاسم معرفة مثل الضمائر المضاف اليها وهي تأتي تالية للاسم . ولذا وجب وضع قانون تحويلي لها ينقلها من موضعها قبل الاسم الى موضع بعده .

القوانين المفـــردية :

هذه القوانين تصنف مفردات اللغة حسب العناصر الواردة في القوانين الاساسية الى اسم وفعل وحرف وأداة استفهام وأداة نفي . . . . الخ . ثم تضع لكل كلمة من حيث خصائصها اللازمة لتطبيق القوانين اللاحقة واللازمة لمواءمة الكلمات بعضها لبعض داخل الجملة الواحدة .

ولتوضيح ذلك نورد المثالين الاتيين :

(أ) كلمة (طبيب) توصف كما يلي (١) : + اسم — . ضمير . + حي . + انساني . + عام . + محسوس . + معدود . + مفرد . — معرفة + مذكر . + معرب . + منفصل . . . . الخ .
وكل صفة من هذه الصفات لها أهميتها . وعلى سبيل المثال . الصفتان (حي) و (انساني) صفتان مهمتان لأن هناك أفعالاً لا تستعمل الا مع اسماء لمدلولات حية أو انسية مثل (شرب وتنفس وكتب) . الصفة (معدود) صفة مهمة لأن الاسم غير المعدود (مثل الماء) لا يتبع بصفة عددية . وهكذا الحال بالنسبة لكل الصفات فهي مهمة بطريقة أو بأخرى .

(ب) كلمة (نام) يمكن أن نصفها كما يلي : + فعل . + عمل (أي انها قابلة لأن يجيء منها فعل أمر قابل للتنفيذ) . — متعد (أي لا تأخذ مفعولاً به) . — أداة (اي فعل لا يحتاج الى أداة لاتمامه) . + فاعل حي (أي فعل يحتاج الى فاعل حي اذ لا يصح عادة ان نقول نام الكتاب) .

القوانين التحويليـــة :—

بعد اختيار عناصر الجملة عن طريق تطبيق القوانين الاساسية الخمسة (وهي بالطبع تسمح لنا بحرية اختيار العناصر بحكم طبيعة صياغتها) ، وبعد اختيار المفردات المناسبة لتحل محل العناصر . نحصل على التركيب الباطني . ولكن هذا التركيب يحتاج الى تحويل او تحويلات ليصبح تركيباً ظاهرياً . ويتم هذا التحويل بأجراء واحدة أو أكثر من العمليات التالية التي سنوضحها بالتعبير الرمزي وبالأمثلة :

١ — عملية الحذف : ا + ب ⟸ ا + . . . (٢) . هنا تم حذف العنصر الثاني ب . مثال :
الكتاب + موجود + على المنضدة .
الكتاب + . . . + على المنضدة .
والتعبير الرمزي الدقيق عن هذا المثال هو :

ا + ب + س

ا + . . . + س

---

(١) اشارة + تعني وجود الصفة . واشارة — تعني عدم وجودها .
(٢) يستعمل السهم المزدوج في القوانين التحويلية والسهم المفرد في القوانين الأساسية والموفيمية .

٢ ـ عملية التبادل : ا + ب ⟹ ب + ا . هنا أخذ كل عنصر مكان العنصر الآخر اي تبادلا المواضع . مثال :

كتب + الولد + رسالة .

⟹ كتب + رسالة + الولد .

والتعبير الرمزي الدقيق عن هذا المثال هو :

س + ا + ب .

⟹ س + ب + ا .

٣ ـ عملية التقديم : ا + ب + جـ + ⟹ جـ + ا + ب .

هنا وضع العنصر جـ في المقدمة مثال :

انتصر + خالد + في المعركة .

⟹ خالد + انتصر + في المعركة .

٤ ـ عملية النسخ : ا + ب ⟹ ب + ا + ب . هنا تم نسخ (أي تكرار) ب في أول الجملة ووضع بدلاً من ب الأولى تعويض عنها هو (ب) . وهذه العملية في الواقع عملية مزدوجة فهي تقديم وتعويض معاً . مثال :

نام + الولدان .

⟹ الولدان + نام + ا (اي الولدان ناما) .

٥ ـ عملية التعويض : ا ⟹ ب . هنا تحل كلمة محل أخرى . مثال :

جرح + الولد + الولد (اذا كان الولد الثاني هو ذات الولد الأول)

⟹ جرح + الولد + نفسه .

والتعبير الرمزي الدقيق لهذا المثال هو :

س + ص + ا .

⟹ س + ص + ب .

والقوانين التحويلية نوعان :

١) القانون الاختياري (optional rule) : وهو القانون الذي يكون تطبيقه جوازاً مثل :

ا . تقديم الاداة على الفاعل :

كتب + الولد + بالقلم ⟹ بالقلم + كتب + الولد .

ب. تحويل المبنى للمعلوم الى مبنى للمجهول :

كافأ + المعلم + التلميذ ⟹ كوفيء + التلميذ .

حـ . نسخ الاسم واحلال الضمير محلة :

لعب + الولدان ═══> الولدان + لعبا .

من هنا يتضح أنه اذا احتوت القواعد التحويلية مثل هذه القوانين فان هذه القوانين تكون بالطبع قوانين اختيارية . وهذا يعني ان الجملة تبقى صحيحة سواء أتم تطبيق هذه القوانين أم لم يتم . وفي الواقع نجد ان القوانين الاختيارية هي التي تتيح لنا التنويع في أسلوب كلامنا أو كتابتنا . فالمتكلم أو الكاتب له الخيار في أن يقول او يكتب أي صيغة مما يدل على سبيل المثال :

جاهد الكاتب بالقلم ، بالقلم جاهد الكاتب ، الكاتب جاهد بالقلم ، جاهد بالقلم الكاتب .

٢) القانون الاجباري (obligatory rule) : وهو القانون الذي يجب تطبيقه على التركيب ليصبح جملة صحيحة . والأمثلة على ذلك عديدة نورد منها :

١ ــ حذف حرف جر الفاعل .

فعل مبنى للمعلوم + حرف جر + الفاعل ═══> فعل مبنى للمعلوم + ... + الفاعل .

مرة اخرى ، قد يتساءل المرء : من أين جاء حرف الجر ؟

وللاجابة عن هذا التساؤل نذكر أن مدخول القانون التحويلي (اي الجانب الأيمن من السهم) هو في الغالب منتوج القوانين الاساسية . والقانون الاساسي الخامس يفترض وجود حرف جر قبل كل اسم ، ولقد بيّنا في تعليقنا على القوانين الاساسية أن كثيراً من الاسماء تظهر حتى في التراكيب الظاهرية مسبوقة بحرف جر . كما أن حروف الجر تبين علاقة الفعل بالاسم فاذا كان الاسم أداة سبقته الباء) لتدل على أنه أداة . واذا كان الاسم مكاناً لحدوث الفعل سبقه حرف جر يدل على المكانية مثل (على ، في) .

واذا كان الاسم مفعولاً مباشراً او غير مباشر ، سبقته (اللام) في التركيب الباطني والتي تظهر عند تحويل الفعل لمصدر مثل (تأليفه لكتابه استغرق وقتاً طويلاً) . واذا كان الاسم فاعلاً ، سبقته (من) لتدل على الفاعلية . والدليل على وجود (من) في التركيب الباطني هو ظهورها في التركيب الظاهري عند التحويل من المبنى للمعلوم الى المبنى للمجهول مثل (أكرم الولد من أبيه) .

ب ــ تبادل المحور والمكان :

محور نكرة + مكان ═══> مكان + محور نكرة .

مثال : رجل + في البيت ═══> في البيت + رجل .

وبالطبع لا يقصد بالقانون الاجباري أن يطبق على كل جملة أو تركيب في اللغة ولكن يقصد به أن يطبق اجبارياً على كل تركيب مماثل لمدخول القانون التحويلي الاجباري . فقانون تبادل المحور والمكان مثلاً قانون اجباري يعني انه اذا كان لدينا محور نكرة متبوع بمكان ففي هذه الحالة وحدها يكون القانون اجبارياً .

القوانين المورفيمية الصوتية :

هذه القوانين يبدأ عملها حيث ينتهي عمل القوانين التحويلية فهي تتناول منتوج القوانين التحويلية حيثما يلزم ذلك لتعطيه الشكل النهائي المستعمل في الكلام او الكتابة . وعلى سبيل المثال :

(١) الْ التعريف + ق ⟵ الْ + ق — .

هنا تشير (ق —) الى وجود كلمة أولها قاف . مثل

الـ + قمر ⟵ الـ + قمر . وهنا لم يحدث تغيير صوتي .

(٢) الْ التعريف + ش — ⟵ ا شْ + ش — .

مثال : ال + شمس ⟵ اش + شمس .

ومن الممكن ادماج عدة قوانين متماثلة في قانون واحد لاعطائه القوة والشمول على النحو التالي :

(١) ال + حرف قمري — ⟵ ال + الحرف —

وهذا يعني ان ال التعريف اذا تبعتها كلمة أولها حرف قمري . تبقى كل الحروف على حالها دون تغيير . وبالطبع يتطلب هذا القانون سرد جميع الحروف القمرية .

(٢) الْ + حرف شمسي — ⟵ ا . الحرف + الحرف — .

وهذا يعني أن (ال التعريف) اذا تبعتها كلمة أولها حرف شمسي فان (اللام) تتحول الى حرف مماثل للحرف الشمسي . ويتطلب هذا القانون كذلك سرد جميع الحروف الشمسية اما في صلبه واما اثناء شرحه .

تطبيق القواعد التحويليـــة :

من الممكن ان ندخل القواعد التحويلية على نطاق واسع في المرحلة الجامعية للطلاب المتخصصين في دراسة اللغة العربية . كما أنه من الممكن ادخالها في المرحلة الثانوية غير أن ذلك يتطلب من جانب المدرس دراية خاصة بتلك القوانين تمكنه من أن يتوخى الحكمة في اختيار المراد منها كماً ونوعاً . وفي كيفية تناولها وتطبيقها . وعند ادخال القواعد التحويلية للغة العربية الى قاعات الدرس بالمرحلة الثانوية ينبغي أن يكون ذلك على نطاق ضيق وبجرعات محدودة ومناسبة .

ولسنا نعني بادخال القواعد التحويلية للغة العربية الى قاعات الدرس احلال القواعد التحويلية محل القواعد التقليدية . فكل ما نعنيه بذلك هو أن تواكب كل منهما الأخرى . لأن القواعد التحويلية ليست بديلاً عن القواعد التقليدية . وانما هي مكملة لها .

ومن الأمثلة على نوعية التمرينات النحوية التي يمكن ادخالها على تدريس اللغة العربية وفقاً للقواعد التحويلية ما يلي :

(١) يكلف الطالب اكتشاف العلاقة التحويلية بين جملتين أو أكثر . ثم يكلف بيان نوع التحويل أهو تحويل حذف أم تعويض أم نسخ أم تقديم أم غير ذلك ؟

(٢) يكلف الطالب أن يعبر عن العلاقة التحويلية بالطريقة الرمزية المجردة مثل ا + ب ⟵ ب + ا (في حالة التحويل التبادلي) أو ا ⟵ ب (في حالة التحويل التعويضي) . ولا شك أن الطلاب سيجدون متعة في هذا النوع من التجريد والتعميم ، ولقد جرّب الكاتب مثل هذه التمرينات في تدريس اللغة الانجليزية وكانت استجابة الطلاب لها مشجعة .

(٣) يكلف الطالب أن يفسر سبب تشابه جملتين في المعنى رغم اختلاف تركيبهما الظاهري مثال ذلك : نظم الشاعر قصيدة ونظمت قصيدة . وهنا لا بد من رد كل جملة الى تركيبها الباطني أو الاساسي . لنكتشف أن سبب تشابههما في المعنى هو انتماؤهما الى تركيب باطني واحد .

(٤) من الممكن أن نقدّم للطلبة جملة ما . ثم نريهم كيف يمكن ان نعبر عن معناها أو مضمونها بطرق عديدة ، وسيكون ذلك تمريناً نافعاً على تنويع أساليب التعبير عن الفكرة الواحدة . وعلى سبيل المثال . يمكن التعبير عن فكرة (العرب يسعون الى السلام) بالطرق التالية :

السلام يسعى اليه من قبل العرب .
العرب هم الذين يسعون الى السلام .
ان السلام هو ما يسعى اليه العرب .
ان السلام هو مسعى العرب .
السعي الى السلام هو ما يفعله العرب .
ما يسعى اليه العرب هو السلام .
الذين يسعون الى السلام هم العرب .
ما يفعله العرب هو السعي الى السلام . . . . . الخ .

وفي اعتقادي ان مثل هذه التمرينات ستكون لدى الطلاب ثروة لغوية كبيرة وقدرة على التعبير عن الفكرة الواحدة بطرق متعددة .

(٥) من الممكن أيضاً أن نقدم للطلاب جملاً متماثلة في تركيبها الظاهري ولكنها غير متوازية في المعنى ، ثم نطلب منهم (او ندربهم) أن يفسروا سبب هذه الظاهرة . ففي قولنا « علي وعد زيدا أن يصدق » و « علي سأل زيداً ان يصدق » . نجد أن الجملتين متشابهتان ظاهرياً لا تختلفان الا في كلمة (وعد) في الجملة الاولى وكلمة (سأل) في الجملة الثانية . غير أن الفرق بينهما في المعنى كبير : ففي الاولى ، علي هو الذي سيصدق بناء على وعده لزيد . وفي الثانية . زيد هوالذي سيصدق بناء على سؤال علي . والسبب في اختلاف المعنى بين الجملتين هو اختلاف تركيبهما الباطني .

(٦) من الممكن أن نقدم للطلاب جملاً صحيحة . ولكنها كانت تحتوي أساساً على عناصر تمّ حذفها فيما بعد . ثم ندربهم على اكتشاف العنصر المحذوف سواء أكان الحذف اختيارياً مثل حذف (الطعام والماء) من الجملة (أكل الولد وشرب) أم كان الحذف اجبارياً مثل حذف (انت) من الجملة (قم بواجبك) .

(٧) من الممكن أن نقدم للطلاب مجموعة من الجمل . لكل جملة منها معنيان . ثم ندربهم على اكتشاف المعنيين وتفسير ما قد يكون في الجملة من غموض . مثال ذلك « هم استنكروا استغلال البلاد الصناعية » . هذه الجملة تعنى (ا) ان البلاد الصناعية هي التي تقوم باستغلال سواها أو (ب) ان البلاد الصناعية هي ضحية الاستغلال . وسبب غموض هذه الجملة هو أنها مشتقة من تركيبين باطنيين مختلفين . ولهذا كان لها معنيان مختلفان .

(٨) انطلاقاً من التطبيق السابق الذكر . يمكن ان ندرب الطلاب على كيفية تجنب الغموض في معاني الجمل . ومثال ذلك : اذا أردنا التعبير من المعنى الاول للجملة الواردة في الفقرة السابقة نقول :

« هم استنكروا استغلال البلاد الصناعية لسواها » . واذا اردنا التعبير عن المعنى الثاني نقول : « هم استنكروا استغلال البلاد الصناعية من قبل سواها » . وبذلك ينتفي الغموض . ولا شك أن مثل هذا التمرين سيكون نافعاً في تعويد الطلاب على دقة التعبير اللغوي وتجنب التعبيرات الغامضة التي يحتمل الواحد منها أكثر من معنى . وفي كثير من الأحيان لا تكون هذه المعاني المحتملة مختلفة فحسب ، بل متناقضة . مما يحدث ارتباكاً كبيراً في عملية التفاهم ونقل الافكار من الكاتب الى القارىء او من المتكلم الى السامع .

ومن الجدير بالذكر أن بعض التطبيقات السابقة موجود فعلاً بدون قواعد تحويلية وخاصة التطبيق الرابع المتعلق بالتعبير المتعدد الصيغ عن المعنى الرئيسي الواحد ، اذ من المعروف ان كتب البلاغة تتناول مثل هذه التطبيق . الا ان الجديد في الأمر سيكون اضافة مفهومي التركيب الباطني والتركيب الظاهري لكل جملة . واضافة مفهوم التحويل اي العلاقة بين التركيبين الباطني والظاهري . وشرح هذه العلاقة بطريقة منهجية متسقة واضحة .

معايير تقويم القواعد التحويلية :

قد توجد أكثر من مجموعة قواعد تحويلية للغة الواحدة . حيث أن علماء اللغة يختلفون في فرضياتهم اللغوية التحويلية . ومن هنا لا بد ان يوجه سؤال له ما يبرره وهو : ما معايير المفاضلة بين فرضية تحويلية واخرى في لغة واحدة ؟ وللاجابة عن ذلك ، نورد هذه المعايير :

(١) معيار الكفاية : يجب ان تكون جميع الجمل التي تولدها القواعد التي نريد تقييمها صحيحة سليمة . واذا ولدت القواعد جملة واحدة غير صحيحة . فان هذا يعني ان هناك خللاً ما في صياغة القوانين أو في تركيب تطبيقها .

(٢) معيار المنهجية : يجب ان تتبع القواعد موضع التقويم نظرية لغوية ثابتة محددة خالصة من أية تناقضات داخلية . وهذا يعني ان تلتزم تلك القواعد بمنهج واضح محدد .

(٣) معيار الوضوح : يجب ان تبرز القواعد عن طريق قوانينها المختلفة جميع الحقائق التي تنطوي عليها في وضوح تام . ولا شك ان المنهجية والوضوح هما من صفات العلم البارزة .

(٤) معيار العالمية : من الأفضل ان ترتكز القواعد التحويلية على نظرية لغوية عامة اي ان تكون صالحة للتطبيق (ولو في قوانينها الاساسية على الاقل) على أكثر من لغة . وبهذه الصفة تصبح القواعد أكثر اقتراباً من العلم حيث ان العالمية من ابرز خصائصه . وعلى سبيل المثال . فان القوانين الاساسية الواردة في هذا البحث تتمتع بصفة العالمية بدليل صلاحيتها للتطبيق على لغتين واسعتي الانتشار وهما العربية والانجليزية .

(٥) معيار عدد العناصر : يفضل ان تكون العناصر اللغوية (مثل الفعل والفاعل والمفعول به وسواها) الواردة في القوانين الاساسية قليلة العدد . ذلك لأن زيادة عددها سيؤدي حتماً الى الافراط في التفريغ مما سيؤدي الى تعقيد القواعد بدلاً من تبسيطها .

(٦) معيار عدد القوانين : يفضل ان تكون القوانين الاساسية والتحويلية والمورفيمية الصوتية محدودة العدد بشرط الا يؤثر ذلك تأثيراً سلبياً على كفاية القواعد . والغرض من ذلك هو المحافظة على تبسيط القواعد عن طريق التقليل من عدد قوانينها كلما أمكن ذلك .

(٧) معيار قوة القوانين : يجب أن يكون كل قانون أساسي او تحويلي او مورفيمي على أقصى درجة من الشمول . فلا نضع قانوناً ليتولى تفسير حالة ضيقة واحدة . لأن مثل هذا القانون اللغوي سيؤدي الى زيادة عدد القوانين ومن ثم الى تعقيد القواعد . ويتأتى شمول القانون اللغوي عن طريق ربطه ربطاً وثيقاً بسواه من القوانين وادماجه مع غيره كلما كان هذا الادماج ممكناً .

كلمة توضيحية ختامية :

ولا بد لايضاح بعض الجوانب المتعلقة بالنظرية التحويلية وقواعدها او للاجابة على بعض التساؤلات المحتملة من الاشارة الى الحقائق الاتية :

(١) ينبغي عدم الادعاء ان القواعد التحويلية أفضل من القواعد التقليدية وكل ما يمكن قوله هو أن القواعد التحويلية لها مزايا ليست متوفرة لدى القواعد التقليدية وان القواعد التقليدية لها ايضاً مزايا ليست متوفرة لدى القواعد التحويلية . ففي حين ان القواعد التحويلية هي قواعد علمية اساساً (scientific grammar) . فان القواعد التقليدية هي تعليمية اساساً (pedagogical grammar) . لذا ، فان لكل منهما دوره الخاص به .

(٢) على الرغم من ان القواعد التحويلية تنطوي على عمليات تحليلية في المقام الأول ، الا انه من الممكن استخدامها لتحقيق اهداف تعليمية . كما بينا عند تناول النواحي التطبيقية للقواعد التحويلية .

(٣) ان القواعد التحويلية ليست انموذجاً يتبعه المتكلم او الكاتب حين يكون جملة ما ، فنحن عندما نريد ان نكتب او نقول جملة في الأحوال العادية . لا نمررها عبر القوانين الاساسية ثم الفردية ثم التحويلية ثم المورفيمية . ولو فعلنا ذلك . لاستغرقنا ساعات قبل ان نقول او نكتب جملة واحدة . وربما لا نقولها او نكتبها ابداً . ان القواعد التحويلية هي قواعد علمية تحليلية وظيفتها كشف العلاقات القائمة بين التراكيب اللغوية ثم تنظيم هذه العلاقات بصورة منهجية ثابتة واضحة .

(٤) لا توجد قواعد تحويلية واحدة للغة واحدة . فالعلماء يختلفون عادة في عدد القوانين الاساسية والتحويلية وعدد عناصر القوانين الاساسية ووظائف تلك القوانين وفي كثير غير ذلك . واللغة ، كما نعلم ، ظاهرة معقدة تفسح المجال للتفسيرات المختلفة .

(٥) القواعد التحويلية لاية لغة . بما في ذلك اللغة العربية . لا تعني تغيير اللغة . فاللغة هي هي لا تتغير سواء أوضعنا لها قواعد تحويلية أم رسمنا لها قواعد تقليدية . ان ما يتغير هو وصف اللغة وليست اللغة ذاتها.

مـــراجـــع

1. Bach, Emmon. **An Introduction to Transformational Grammars.** New York: Holt, Rinehart, and Winston, Inc., 1964.

2. Chomsky, Noam. **Aspects of the Theory of Syntax.** Cambridge: The N.I.T. Press, 1965.

3. ————————. **Syntactic Structures.** The Hague: Mouton and Co., 1957.

4. Gleason, H.A. **An Introduction to Descriptive Linguistics.** New York- Holt, Rinehart, and Winston, 1955.

5. Koutsoudas, Andreas. **Writing Transformational Grammars.** New York: Mc Graw-Hill Book Company, 1966.

6. Lyons, John. **Introduction to Theoretical Linguistics.** Cambridges: University Press, 1968.

7. Oldfield, R.C. and Marshall, J.C. (ed.) **Language.** Harmondsworth, England: Penguin Book Ltd., 1968.

ARTICLES

1. Fillmore, Charles J. "A Proposal Concerning English Prepositions" in Dinneen, F.P. (ed.). **Monograph Series on Languages and Linguistics,** No. 19. Washington, D.C. : Georgetown University Press, 1966, PP. 19-31.

2. Less, Robert B. "Transformation Grammars and the Fries Framework", in Allen, Harold B. (ed.) **Readings in Applied English Linguistics.** New York: Appleton-Century-Crofts, 1964, PP. 137-146.